مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (02) جـوان 2022 ص ص 169-184

أشكال التعبير الثقافي في المجتمعات القبلية بالجزائر

الفروسية ولعبة العلاوي عند قبيلة أولاد نهار بمنطقة سبدو – تلمسان أنموذجا

Cultural expressions in Algerian tribal communities

Horse riding and alawi game in the Awlad Nahar tribe in the Sebdou-Tlemcen region as a model

عبد العزيز الكبار*

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر).

البريد الالكتروني: elkebar_abdelaziz@yahoo.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021/12/04	2022/02/15	2022/06/01

الملخص:

تعتبر قبيلة أولاد نهار من بين أبرز القبائل المتمركزة في الجنوب الغربي الجزائري، حيث تنتمي لعائلات إدريسية مهاجرة من المشرق إلى المغرب الإسلاميين، وتمارس هذه القبيلة مجموعة من الطقوس والألعاب التقليدية منها: احتفالية وعدة سيدي يحيى بن صفية، ولعبتا الفروسية والعلاوي التي تساهم في إنتاج وإعادة إنتاج الهوية الثقافية والاجتماعية والتاريخية لهذه القبيلة.

يحاول هذا المقال الكشف عن بعض الممارسات الثقافية بمنطقة أولاد نهار بسبدو تلمسان، وقد تم توظيف المقاربة الكيفية التي تقوم على المنهج الوصفي التحليلي لإبراز الدلالات الثقافية والاجتماعية والرمزية لهذه الألعاب، وتبيان دورها في الحفاظ على ديمومة وبقاء هذه القبيلة، على الرغم من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الكبيرة التي يشهدها المجتمع الجزائري في المرحلة الراهنة.

الكلمات المفتاحية: *الفروسية ؛ الطقوس ؛ لعبة العلاوي ؛ الثقافة ؛ الهوية ؛ القبيلة*

Abstract:

The *Awlad Nahar* tribe is one of the largest tribes in the Algerian Southwest, where it belongs to *Idrisid* families migrating from the East to the Islamic Maghreb. This tribe performs a series of traditional rituals and games, including ceremonial, equestrian and *alawi* games, which contribute to the production and reproduction of the tribe's cultural, social and historical identity.

* **المؤلف المرسل**

This article attempts to reveal certain cultural practices in the *Ouled Nahar* region of Sebdou Tlemcen. This approach has been used as a descriptive and analytical approach to highlight the cultural, social and symbolic connotations of these games and to demonstrate their role in preserving the viability and survival of this tribe, despite the significant economic, social and cultural transformations that are taking place in Algerian society.

Keywords: *Equestrian - Rituals - Allawi Game - Culture - Identity – Tribe*

مقدمة :

يتفق العديد من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن المجتمعات البشرية قد عرفت نوعين من الثقافة: الثقافة العليا والثقافة الشعبية، ويقصد بالنوع الأول تلك الثقافة العالمة التي حظيت باهتمام كبير من حيث جمعها وكتابتها وتنظيمها في شكل منطوق، وتدريسها في المعاهد والمدارس والجامعات ويعبر عنها في قوالب معرفية ومفاهمية خاصة، ويكتسبها الأفراد عن طريق التربية أو التنشئة الاجتماعية المقصودة أو الرسمية، أما النوع الثاني فهي شكل من أشكال التعبير الثقافي الشفهي غير المكتوب وتتجلى في شكل مجوعة من الفنون والتعابير والرموز الحركية، ويتخذ الجسد مادة له، كما أنها محفوظة بشكل مادي، أو في الذاكرة الجماعية، وتتمظهر في الملبس والغناء والمأكل وطقوس العبادات وأساليب الاحتفالات والأعياد والأمثال والحكم والمقولات الشعبية ...(عبد الغني، 2006، ص135) وعلى الرغم من الاختلاف بينهما فإن القاسم المشترك بينهما يكمن في أن كليهما يعبر عن الذات البشرية ومنجزاتها المادية واللامادية والرمزية.

وتعتبر احتفالية وعدة سيدي يحيى بن صفية ولعبة الفروسية والعلاوي والدارة والصف والجواد والغناء الشعبي والأمثال الشعبية والحكم .. جزء لا يتجزأ من التراث اللامادي الرمزي، الذي لازالت تمارسه قبيلة أولاد نهار بالجنوب الغربي من التراب الوطني، وتسعى من خلال إحيائها وأدائها لهذه الطقوس والألعاب التقليدية المختلفة إلى إعادة إنتاج هويتها وانتماءها القبلي والاجتماعي والثقافي داخل النسيج الاجتماعي والاثني والثقافي للمجتمع الجزائري ككل.

يندرج موضوع هذا المقال ضمن الأبحاث الميدانية التي أنجزت بمنطقة سبدو بتلمسان من سنة 2010 إلى سنة 2015 وهي جزء من مساحة جغرافية وثقافية تتمركز بها جماعات اجتماعية تنتمي من حيث نسبها لقبيلة أولاد نهار، وقد تم استعمال المنهج الاثنوجرافي الذي يتناسب مع المقاربة الكيفية التي تهتم بوصف أسلوب حياة الأفراد أو الجماعات، وتبيان طبيعة العادات والتقاليد والقيم السائدة، والكشف عن الأدوات والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.

فماهي الدلالات الاجتماعية والثقافية التي تحملها لعبتي الفروسية والعلاوي عند قبيلة أولاد نهار؟

1- الفروسية:

تعتبر الفروسية من الأشكال القديمة والفنون التقليدية التي مارستها الشعوب والمجتمعات قديما وحديثا (Sofie Landrin, 2009, p10) فهي نوع من الألعاب التي سادت في مجتمعات الشرق القديم واليونان... كما سادت عند العرب في مرحلة ما قبل الإسلام وبعده، ولا زالت تسجل حضورها المستمر وبخاصة في احتفاليات الوعدة وفي المواسم والمناسبات التاريخية والتظاهرات الرياضية والثقافية. يقول هوتسينغا: "الفن بجميع فروعه ليس إلا نوعا من اللعب .. فالحضارة لم تخرج من عباءة اللعب كما يخرج الجنين من رحم أمه، ولكن الحضارة ذاتها نشأت باعتبارها جزءا لا يتجزأ من اللعب، واستمرت هكذا إلى يومنا هذا." (كوتسينغا، 2012، ص17)

تمثل الفروسية عنصرا بنيويا في ثقافة المجتمعات البشرية، ويذهب بعض الباحثين إلى اعتبارها لعبة تحاكي في أدائها تكتيكا عسكريا تتجلى في صيحات فرسانها وطلقات البارود (De vanssay,1903, p89) وتعد هذه اللعبة ظاهرة اجتماعية وإنسانية عرفتها كثيرا من شعوب العالم، حيث إن لكل جماعة اجتماعية خصوصيتها الثقافية والاجتماعية والتاريخية، التي تحدد طبيعة ونوعية الألعاب التي تمارسها ف: "الفنون التقليدية هي قبل

كل شيء ليست فنونا للمتعة.. إنها تمثل جانبا من تاريخ هذه الشعوب وتراثها الثقافي وتفسر عناصر حضارتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية... ولهذا يصبح الفن التقليدي بدون معنى إذا لم يأخذ طابعه الاجتماعي الخاص والثابت الذي يتم من خلال الفعل الاجتماعي العملي."(الحيدري، 1984، ص09)

لازالت القبيلة بمنطقة سبدو تحافظ على هذا الفن التقليدي الذي فرض نفسه في كثير من المناسبات والتظاهرات الثقافية، حيث نجد لكل قبيلة ممثلة في فروعها مجموعات من الفرسان تمتلك خيولا أصيلة تسمى بمنطقة البحث "العلفة" التي تشارك في تلك المناسبات وتمثل القبيلة التي ينتمي إليها أولئك الفرسان، ذلك أن أغلب القبائل التي تتمركز بمنطقة سبدو ونواحيها حافظت على لعبة الفروسية، وتشارك في احتفالية وعدة سيدي يحيى بن صفية، ووعدة سي الطاهر ووعدة عسلة ووعدة سيدي عبد الله ببلدية القور، ومن هذه الفرق أو" العلفات" التي تمارس الفروسية: بني وعزان ببلدية بن سكران وعلفة الكدية ببلدية تلمسان، وعلفة "الشرفا"، وعلفة أولاد سيدي الشاذلي بمنطقة العابد، وعلفة أولاد تادموت ببلدية القور، وعلفة عسلة (المجادبة) وعلفة حميان بمشرية، وعلفة مقنافة (أولاد ورياش) وعلفة بني بوسعيد (الزوية) بمغنية، وعلفة (كرزابي) وتتكون كل فرقة أو علفة من تسعة فرسان على الأقل...

وتعد قبيلة أولاد نهار أكثر حضورا وهيمنة على هذه اللعبة لدرجة أن الفارس النهاري يصحح للمتحدثين معه بعض المعطيات الخاطئة التي يحملونها تجاه اللعبة أو الرقصة التي يشتهرون بها ويتميزون بها عن سائر القبائل الأخرى.

يرى الفارس النهاري أن قبيلة أولاد نهار تشتهر بممارسة الفروسية أولا وبأداء لعبة العلاوي ثانيا وأن أفرادها لا يرقصون وإنما يلعبون ويبررون ذلك بأن الرقص للنساء واللعب للرجال.

ولا زالت الذاكرة الشعبية لهذه القبيلة تحتفظ ببعض الروايات، التي تبرز جانبا من القيم الرمزية لهذه القبيلة منها البطولة والشجاعة والفروسية من بينها قصة حدثت لجماعة من الفرسان النهاريين بوعدة سيدي أحمد المجذوب بعسلة بمنطقة مشرية حيث تقول: "في وعدة سيدي أحمد المجدوب خال سيدي يحيى بن صفية شارك النهاريون بسبعين فارسا تقريبا موزعة على عشرة علفات وكان المقدم نتاع الفرسان في الوسط، كان واحد المشهد لي قاع الحاضرين نخلعو وحتى السماء غطاتها الغبار نتاع الخيل، وكي كملت هذه العلفات قاع الناس طالبو باش تتعاود."(قصة مأثورة بمنطقة أولاد نهار)

تهتم كثير من العائلات المنتمية لقبيلة أولاد نهار بتربية الخيول، ويعتبرونها من أفضل الحيوانات وذلك منذ زمن بعيد، حيث كان الأجداد الأوائل كلهم تقريبا يملكون الخيول حيث لا تخلو خيمة إلا وتجد بجانبها حصانا ويعود سبب اهتمام النهاريين إلى المكانة المرموقة التي تحظى بها الخيول في المجتمع القبلي حيث تعتبر الخيول رأسمالا ماديا ورمزيا ذلك أن الخيول سلعة تباع وتشترى وبأثمان باهضة، ومعاشها يتطلب عناية مستمرة وكبيرة من مالكه متمثلة في نظافته وربطه في زريبة نظيفة وتوفير كل متطلباته وفحصه ومعالجته عند البياطرة حتى لا تفتك به الأمراض والحشرات من بعوض وذباب...

لا يمكن لأي شخص أن يمتلك الخيل لغلائها في السوق وغلاء معيشتها كما أنها تتطلب حرصا وعناية كبيرة من مالكها وتوفير متطلباتها المادية، والكاسب للخيل يمكنه أن يصبح ثريا في أي لحظة لأنه عند الحاجة الملحة يمكنه بيعها بثمن باهض خاصة إذا كانت من النوعية الرفيعة.

يهتم النهاريون بتربية الخيول وينتجون حولها صورة نمطية مميزة تؤطر مخيالهم الفردي والجماعي والقبلي ويبررون هذا الاهتمام بالخيول بالمكانة الدينية للخيول، حيث يتصورون أن النبي (ص) قد أوصى الناس بالعناية والاهتمام بالخيول ولأن للخيول وظيفة

رمزية تجسدها قيم الخير والبركة والجهاد والشجاعة والثواب... ولما نتصفح كتب الصحاح نستشف كثيرا من الأحاديث النبوية التي تشير إلى الأهمية الكبيرة التي تحظى بها الخيول ومن بين نصوص هذه الأحاديث: (أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، 1992، ص1074)

" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة."

" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة."

" البركة في نواصي الخيل."

" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم."

" من احتبس فرسا في سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة."

يهتم النهاريون بالخيول ليس فقط لقيمتها المادية ولكن أيضا لأن الدين وفي كثير من النصوص القرآنية والنبوية قد حث على الاهتمام بالخيل لتميزها عن الحيوانات الأخرى فقد خصها الدين بكثير من القيم الرمزية منها البركة والخير والنماء والجهاد والثواب... وهكذا يتضح أن الفرد النهاري يلجأ للتصور الديني ليبرر اهتمامه بالخيل، وعناية قبيلته بها مقارنة بالحيوانات الأخرى من ماشية وغنم وبقر...

يعتبر الدين من بين أهم مصادر ثقافة قبيلة أولاد نهار فهو الإطار المرجعي الذي يحدد تمثلاتها ورؤيتها لكل ما يحيط بها وتتفاعل معه، وربما هذا ما كان يحاول دوركايم الكشف عنه في اشكاليته حول العلاقة بين الدين والمجتمع حيث إن: "التصورات والرموز الدينية ليست بالفروق من الأوهام أو بديلا عن قوى أخرى خارج فضاء العلاقات الاجتماعية كالقوى الطبيعية، وإنما هي تصورات ورموز للنسيج الاجتماعي على المستويين المادي والفكري، وبالتالي يمكن اعتبار هذه التصورات والرموز عناصر تكوينية، مكونة لبنى المجتمع وهياكله تحتمها طبيعة الحياة الاجتماعية. فوجود الرمز في

ذهنية الأفراد وفي طريق تفكيرهم، من شأنه أن يمنع الدوافع الأنانية الضيقة، وأن يمنح الفرد عوامل الانضباط التي تمكنه من إقامة علاقات متزنة مع الواقع. إن ما يجعل المجتمع كهياكل وكعلاقات شيئا ممكنا، هو بالتدقيق التصورات الجماعية وقدرتها على توجيه الدوافع الفردية ورقابتها، إذ أنها تمثل إحدى الآليات الأساسية لاشتغال العملية الاجتماعية. ومن مستلزمات العملية الاجتماعية توافر جملة من الرموز والتصورات العامة التي تضمن حدا معينا من الرقابة والتوجيه. فالعمل الديني له دور نشط في جعل الناس ينخرطون في صلب الحياة الاجتماعية بطرق ايجابية وهو موجه نحو دفع الأفراد وجعلهم يفضلون المشاركة والمساهمة على الانسحاب والانزواء والتقوقع." (الهرماسي، 2000، ص16-17)

والخيل عند النهاريين بمثابة الأفراد المنتمين للعائلة حيث يهيئون لها مكانا نظيفا وتأكل من الشعير والقمح المصفى والممزوج بالزبدة ويعاملونها معاملة لينة وحسنة فلا تضرب ولا يصرخ في وجهها، إن النهاريين يستهجنون ممارسة العنف على الخيول.

تعتبر الخيول إذن، عند النهاريين عضوا من أعضاء العائلة على الرغم من أنهم يهتمون بتربية المواشي والدواجن وقليل من الأبقار وحتى الكلاب يستعينون بها لحراسة المكان، ولكن الخيل تحظى بأهمية كبيرة ومتميزة مستمدة من الدين ومن ثقافة النهاريين ذلك أن الخيول تعطي لكاسبها ومالكها مكانته الرمزية وبخاصة في احتفاليات الوعدة أو المنافسات التي تستعرض فيها القبيلة هذا الرأسمال الرمزي ويمنحها مكانتها الاجتماعية المرموقة.

إن اهتمام النهاريين وعنايتهم بالخيول واستثمارها ماديا ورمزيا يدل على أن هذه الألفة التي تربط النهاري بخيوله والتي تشكل جزءا من ثقافته ونظام حياته، وهذا الاهتمام والألفة بين الإنسان والحيوان نجدها في كل المجتمعات ولكن طبيعة الحيوان وطريقة تعامل الإنسان معها تبقى محددة بالخصوصيات الجغرافية والتاريخية والثقافية والدينية

والاجتماعية لهذه المجتمعات وهذا ما يذهب إليه حسين مؤنس حين يفسر علاقة الإنسان العربي بالحيوانات التي يملكها." (مؤنس، 1998، ص 371-372)

ولكن يجب أن ننوه بأن الخيول تنفرد في خصوصياتها من حيث لونها وملبسها وأكلها وخفتها وأصالتها وبركتها.. وعلى هذا الأساس فإن القيم الرمزية التي يتميز بها الفرس تتعدى القيم المادية التي ترتبط بالحيوانات الأخرى. (Peyron, 1997, p02)

2- لعبة العلاوي:

لقد مارس الإنسان قديما فنونا متعددة ومختلفة، وكان من بين هذه الفنون التقليدية التي حظيت بأهمية كبيرة في المجتمعات القديمة فن الرقص، حيث كان الأفراد يلجؤون لهذا الفن للتخلص من حالات التوتر النفسي، وإعادة إنتاج الطاقة التي بذلت في العمل اليومي المستمر ونلتمس ذلك في استعمال حركات الجسد ف:" إذا كان للموسيقى هذه الأهمية الفائقة في الفنون التقليدية، فإن الرقص يعتبر أقدم منها، إن الرقص يأتي في مقدمة الفنون التي استعملها الإنسان منذ أقدم الحضارات الإنسانية التي قدمت له فرصة متميزة للتنفيس عن التوتر الداخلي والروحي والنفسي عن العواطف والرغبات المكبوتة من فرح ومرح وألام واكتئاب وذلك من خلال انشغاله بالأداة الأولية التي يملكها وهي الجسم الإنساني... ويبقى الرقص في الحقيقة أكثر الفنون حركة وحيوية إلى جانب كونه وسيلة من وسائل التنفيس والتعبير الفردي والجماعي. ولا يمكن أن نربط الرقص بمجتمع واحد ومعين، لأن كل المجتمعات التقليدية تستعمل هذا الفن في كثير من المناسبات والمراسيم الاجتماعية والدينية." (الحيدري، 1984، ص83)

والرقص في المجتمعات التقليدية لا يؤدي فقط وظيفة نفسية متمثلة في الحفاظ على التوازن النفسي للفرد والتخفيف من حدة التوتر النفسي، بل إن ممارسة هذا الفن يعبر عن تمثلات الأفراد لعلاقتهم بالوجود أو العالم الذي يحيط بهم، ويتعدى الرقص الوظيفة النفسية والأنطولوجية للفرد، إنه نتاج اجتماعي يتم داخل جماعة اجتماعية ينتمي إليها

فالفرد عندما يرقص مع الجماعة إنما هو في حقيقة الأمر يذوب في هذه الجماعة ويؤدي وظيفته الاجتماعية: "وفي الحقيقة، فإن الهدف من الرقص في أغلب المجتمعات التقليدية ليس ترفا ومتعة فحسب، بقدر ما هو خلق علاقة صادقة مع العالم ومع الآخرين. فحين يرقص الإنسان ويغني ويطرب، يعبر بذلك عن حاجاته ورغباته وأمانيه، وهو في كل هذا يبدو كما لو أخضع الطبيعة لنفسه مسبقا. إضافة إلى ذلك، فإنه لا يعبر عن رغباته وحاجاته الذاتية الخاصة بل يعبر عن تطلعات جماعته ورغباتهم، وبذلك فهو يخلق نموذجا من الفن يعكس الانقطاع عن المصالح الذاتية الخاصة، ويبرز بشكل عفوي كممثل لأعضاء جماعته." (الحيدري، 1984، ص84)

وتختلف أشكال الرقص من مجتمع إلى مجتمع آخر فلكل جماعة اجتماعية خصوصياتها الثقافية، بل وتتعدد هذه الأشكال وتتنوع في المجتمع الواحد، وتعتبر منطقة أولاد نهار بالجنوب الغربي من التراب الوطني منطقة ثقافية تتنوع فيها فنون الرقص التي انتشرت إلى مناطق أخرى منها معسكر والبيض وسيدي بلعباس وغليزان ووهران وسعيدة ومغنية... ولكن تبقى أشكال الرقص عند النهاريين متميزة ويستطيع المتذوقون تمييزها عن الرقصات التي قد تتشابه معها، حيث إن هذا التميز وهذه الخصوصية جعلتا المتذوقين يسمونها بالرقصة" النهارية " وخاصة رقصة العلاوي.

تعتبر لعبة العلاوي عند النهاريين لعبة ذكورية يمارسها الرجال فقط، وهنا نجد أنفسنا أمام لعبة بصيغة المذكر ولعبة أخرى بصيغة المؤنث تمارسها النساء وتتجلى في رقصة الصف، وولعبة الدارة مشتركة يمارسها الرجال والنساء، وإذا كان النهاريون يصرون على أن العلاوي لعبة وليس رقصة فذلك يكشف لنا أن النهاري لا زال يحافظ على ما يسميه ب: "الرجلة" فلعبة العلاوي تتطلب من اللاعب حركات جسدية معينة منها خاصة هز الكتفين وضرب الأرض بالرجلين تتخللها صيحات قائد اللعبة منها " الله الله"، وتتبعها صرخات وصيحات متعالية.

تقوم إذن، لعبة العلاوي بإنتاج قيمة الرجلة التي تشكل جزءا من الشخصية القاعدية للفرد النهاري، وهي جزء من الهيمنة الذكورية والنظام الأبوي السائدين والمهيمنين على النظام الثقافي والاجتماعي لقبيلة أولاد نهار، ويقوم الفرد النهاري بإنتاج وإعادة إنتاج هذه القيمة في كل الفضاءات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية.

تحمل "الرجلة" عند النهاريين كثيرا من المعاني الرمزية والسلوكات الاجتماعية منها الاحترام، والثبات في المواقف والشجاعة، ونصرة المظلوم، والأنفة ... تحمل أيضا قيما ثقافية مرتبطة بهوية القبيلة التي ينتمي إليها وطبيعة التنشئة الاجتماعية التي تربى عليها، و"الرجلة" من العناصر الثقافية التي يحتفظ بها الفرد النهاري ويحافظ عليها ويمارسها في علاقاته الاجتماعية بالمنطقة.

يمارس النهاريون كثيرا من الألعاب والرقصات منها: لعبة العلاوي والدارة والصف ورقصة الجواد أو الخيل حيث يدرب النهاري خيله على الرقص، هذه الرقصة نجدها أيضا في كثير من المجتمعات العربية، وتمارس في الحفلات والأعراس خاصة، وتتمظهر هذه الرقصة وبشكل جلي بمنطقة البحث ففي ليلة الدخلة في حفلة الزفاف ينقل العريس من الحمام أو المقهى إلى بيته ليلا وهو يمتطي فرسا ويلبس برنوسا أبيضا ويحيط به حشد من الشباب يطلقون المفرقعات في الهواء، وعند وصول العريس إلى بيته يرقص الفرس بطلب من مالكه ثم يرمي العريس ببرنوسه الأبيض على هذا الحشد، وتزغرد النساء من فوق السطوح والبنايات...

يرى بعض الباحثين أن رقصة العلاوي تنسب لعائلات إدريسية علوية استقرت بمدينة فاس بالمغرب الأقصى، ويعتقدون أيضا أنهم أول من مارس هذا النوع من الفنون التقليدية، ويعتقد آخرون بأنها رقصة ارتبطت بفترة الحاج محيي الدين أب الأمير عبد القادر وكانت تمارس بعد الانتهاء من المعارك والحروب، حيث يمسك الفرسان بنادقهم وسيوفهم لأداء هذه الرقصة وذلك للتخفيف من عناء الحروب وللتعبير عن الانتصار في

كل معركة أو اشتباك مع العدو يقول إبراهيم بهلول:" هذه الرقصة كانت موجودة في عهد الحاج محيى الدين أب الأمير عبد القادر وفرسان جيشه الشجعان، إذ كانت تعبيرا عن مختلف مراحل القتال، يتسلون بها بعد كل رجوع من معركة ظافرة، فيتعاطى هؤلاء الجنود حاملين سيوفهم وبنادقهم في عروض متقنة، واثبين مرة على خط مستقيم ، وأخرى على شكل دائرة، يضربون الأرض ضربات متتالية، بالرجل اليمنى متبوعة باليسرى يتوقفون تارة، ثم ينطلقون إلى الأمام .. ثم إلى الخلف في حركة اهتزازية مستمرة للكتفين، أي في سلسلة حركات تسيرها إشارة الرئيس المزعوم للفرقة."(بهلول، 1986، ص33)

وهناك فرضية أخرى مفادها أن رقصة العلاوي نشأت لما انتصر أبو العطا أحد أجداد سيدي يحيى بن صفية على عدوه "واصل بن ونزمار السويدي"، وقد تزامن هذا الانتصار مع اليوم الذي ولد فيه زيد بن أبي العطا والذي لقب ب: "زيد نهار" ولكن هذه المواقف والرؤى تبقى مجرد فرضيات تحاول رصد الأصول السوسيو – تاريخية لهذه الرقصة تحتاج إلى دراسات ميدانية، وحقائق علمية تثبت صحتها.

وإذا أخذنا بإصرار النهاريين على أن العلاوي لعبة وليست رقصة مادامت أن اللعبة ممارسة ذكورية والرقص ممارسة نسوية فلأن النظام الاجتماعي والثقافي لقبيلة أولاد نهار يقومان على النظام الأبوي ويكرسه الدين والعرف، وتتميز لعبة العلاوي عند النهاريين بالجدية وتخضع لنظام وقواعد تحافظ على نسقها: "وفي ميدان اللعب يتم مراعاة قوانين صارمة وقاطعة، والجدير بالذكر أن اللعب يعلمنا الالتزام بالنظام والحراك وفق قوانين محددة. وفي عالم تسوده الفوضى وفي ظل سلوكيات يومية عشوائية، يمثل اللعب حالة من الكمال والالتزام التي تدوم لفترة قصيرة فاللعب يتطلب الانصياع التام للنظام. وعندما لا يلتزم المرء بقوانين اللعبة حتى ولو للحظات محدودة تفسد اللعبة بأسرها ويسقط

حقه في مواصلة اللعب بعدما تصبح اللعبة بلا جدوى وتسلب منها أهم سماتها وهي الالتزام بالقواعد."(كوستينغا، 2012، ص 56-57)

ويقول الباحث عبد المالك مرتاض في نفس الاتجاه: "العلاوي هي رقصة خاصة بالرجال، ولا تؤدى هذه الرقصة إلا بصورة جماعية، ومن خصائصها الحركة القوية السريعة والارتفاع والقفز على نظام معلوم، وهي مشهورة في الجزائر كلها، وتشتهر في غربيها أكثر من شرقيها."(مرتاض،1981، ص91)

يذهب كثير من الباحثين إلى أن لعبة العلاوي تجسد من الناحية الرمزية تكتيكا عسكريا وتوصف بأنها لعبة تحاكي الحروب، وتمارسها جماعة اجتماعية تتشكل من الرجال، مقسمة إلى فوجين متقابلين يتشكل الفوج الأول من العازفين الذين يستعملون آلات تقليدية منها: الناي والبندير. هذا الفوج لا ينتمي لقبيلة أولاد نهار ويطلق عليه في منطقة أولاد نهار: "المرازقة"، والفوج الثاني يمثله أفراد من نفس القبيلة يقومون بأداء اللعبة باستعمال العصي والزي الرسمي التقليدي للعبة.

ويقود الفوجين لاعب متمرس ومحترف يتحكم في نسق اللعبة، ويقوم الفوجان بطاعة أوامره وتنفيذها وترتدي مجموعة اللاعبين لباسا تقليديا ينسجم مع طبيعة اللعبة وتتمثل في: "العمامة البيضاء، والعباءة الفضفاضة المكممة ذات اللون الأبيض أيضا والمرصعة ببعض الخطوط " السفيفا " ذات اللون الأحمر، والتي تشبك في الظهر والصدر، حيث تتدلى منها كرة حمراء اللون مصنوعة من الصوف تزيدها جمالا للأثر الذي يضفيه اهتزاز الكتفين ويظهر في الجانب الأيسر للراقص غمد المسدس الذي يطلق عليه، في منطقة أولاد نهار اسم " القبر"، ويقابله في الجهة اليسرى النجاد، وتسميته الشعبية في المنطقة "التهليل"، ويطلق على هذه الأدوات مجتمعة اسم "الحمايل"(قويدر، 2009، ص134- 135)

إن لعبة العلاوي من الفنون التقليدية التي يكتسبها الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية، وتعبير عن هوية القبيلة، وتنتقل هذه اللعبة من جيل إلى جيل ولا تلقن في المدارس المتخصصة، كما تجسد معان ودلالات رمزية تتصف بها القبيلة منها: الشجاعة والشرف والكرم والوفاء والتضامن الاجتماعي...

لا يتقاضى اللاعبون النهاريون مالا مقابل أدائهم للعبة العلاوي، على الرغم من أن المشاهدين والذواقين لهذا الرقص ينفقون أموالا باهظة في ليلة واحدة وخاصة في احتفاليات الزواج، حيث يضعون الأوراق النقدية في عمامات اللاعبين، ويقترن أداء هذه اللعبة الجماعية بسلوك اجتماعي تقليدي يسمى في منطقة أولاد نهار ب: " التبراح "، حيث ينادي أحد المشاهدين الذواقين " البراح " الذي يكون عادة بجانب فوج العازفين ويمنحه مبلغا من المال، ويهمس في أذنه ليقول له كلاما يمدح فيها قبيلته، التي ينتمي إليها بعرض قيمها الايجابية وعادة ما يطلب منه ذكر محاسن بعض الحاضرين كأن يقول: "هذي التبريحة خالصة من عند فلان من أولاد فلان راه يقولك في خاطر عرش ولاد نهار وأولاد فلان بن فلان..."

أو: " هذه التبريحة خالصة من عند فلان راه يقولك هذي التبريحة في خاطر فلان ولد فلان وفي خاطر قاع ولاد نهار الشرفا الأحرار وكنترا على فلان وأولاد فلان."

واللاعب النهاري لا يعزف على الناي ولا يستعمل الدف " البندير" في أدائه للعبة العلاوي، حيث يعتقد أن النسب الشريف الذي ينتمي إليه النهاريون يمنعهم من اقتسام المال وأخذ حصتهم منه، كما يمنعهم من ممارسة وظيفة " المرازقة "، ومن المقولات الشعبية التي تعبر عن ذلك:

- "السلوقي ليا جاح يولي نباح والشريف ليا جاح يولي مداح".
- "اللعب للشريف والعزف للزرتيف".

وفي نفس الاتجاه يقول يوهان كوستينغا: "إن أهم خاصية من خواص اللعب هي أنه منزه عن الكسب المادي... إن ثقافة اللعب لا تخدم الرغبات الجسدية والبيولوجية الآنية التي يحتاجها الأفراد، وإنما تحقق الرغبات السامية للمجتمع وتدعم عملية الإصلاح الجماعي بطرق أخرى أكثر سموا، فاللعب منزه عن الحاجيات المادية للفرد، ولكنه يخدم الجماعة بطرق متعددة." (كوستينغا، 2012، ص53-55)

تمارس لعبة العلاوي في مناسبات كثيرة وخاصة في حفلات الزفاف واحتفالية الوعدة، وعندما تبتدئ اللعبة بمجموعة من اللاعبين تحاط بجمهور غفير من جيل الكبار وجيل الصغار، وتشارك النساء بزغاريدهن من فوق السطوح والبنايات، ومن خلف النوافذ، وفي بعض قرى ومداشر منطقة أولاد نهار هؤلاء النسوة تزغردن من خلف الحصير الذي يعزل النساء عن اللاعبين، وحتى العريس في ليلة "الدخلة" يتجه إلى مكان مخصص له للاستراحة، ثم يقوم بعد ذلك وأمام حشد من الناس بممارسة لعبة العلاوي مع بعض من أصدقائه، وقد يؤديها بمفرده، كما يكون لأب العريس الفرصة لتسجيل حضوره في العرس، حيث يشارك بدوره في لعبة العلاوي مع بعض من أصدقائه أو أفراد من أقربائه وقبيلته.

وتمارس هذه اللعبة التقليدية أيضا في احتفالية وعدة سيدي يحيى بن صفية الجد الجامع لقبيلة أولاد نهار، حيث يقوم اللاعبون من مختلف الفروع القبلية بتأديتها، وهنا يجب أن نشير بأن جمهور الذواقين لهذه اللعبة قد يكونون مشاركين أو مشاهدين، وعند انتهاء كل لعبة أو -كما تسمى في منطقة البحث- " البرطية " تتقدم مجموعة أخرى للعب.

يبقى إذن، ونحن نتحدث عن لعبة العلاوي عند النهاريين الإشارة إلى أن هذه اللعبة نتاج اجتماعي وثقافي وفضاء للتعبير عن هوية القبيلة، ومجال لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للجماعة، التي تمارس هذه اللعبة، كما أنها تمارس من قبل جماعة اجتماعية وأمام جمهور يتذوق هذه اللعبة مما يجعل اللاعبين حريصين على إنجاح اللعبة فتميز

الفروع القبلية عن بعضها يكمن في طريقة أداء هذه اللعبة، وفي درجة تتبع وتفاعل جمهور الذواقين مع اللاعبين مما يسمح لهم بتصنيف اللاعبين المحترفين حسب انتمائهم القبلي والعشائري فإن أفضل اللاعبين هم: أولاد سيدي أحمد، وأولاد أحمد بن عبد الله، وأولاد سيدي الزاير.. يقول يوهان كوسينغا عن العلاقة بين اللاعبين والجمهور: "يلعب عنصر التوتر أو الشد العصبي المصاحب لجميع أنواع اللعب أدوارا هامة في هذا الشأن. إن التوتر في أثناء اللعب يعبر عن حالة من الريبة والالتباس والغموض، كما يعبر عن السعي الدؤوب لاتخاذ القرار الصائب وإنهاء اللعبة بشكل يرضي المشاركين فيها، فاللاعب يرغب في تحقيق النجاح ويتمنى الوصول إلى نتيجة محددة عن طريق بذل الجهد وقدح زناد العقل." كوستينغا، 2012، ص58)

خاتمة:

تمارس قبيلة أولاد نهار مجموعة من الطقوس والألعاب التقليدية المختلفة ولا زالت تحافظ عليها في كل مناسبة تاريخية أوثقافية أو اجتماعية، على الرغم من التحولات التي يشهدها المجتمع الجزائري في المرحلة الراهنة.

تؤدي هذه الطقوس والألعاب التقليدية مجموعة من الوظائف، وتحمل دلالات اجتماعية وثقافية ورمزية مختلفة تتمثل في بث قيم التضامن الاجتماعي والشجاعة والكرامة وحسن الضيافة وضبط السلوك الفردي والجماعي والتفاعل الاجتماعي والتنفيس عن الذات وإحداث التكيف النفسي للفرد والجماعة .. كما أن هذه الألعاب تحافظ على بنية القبيلة وتماسكها وتعبر عن هويتها وخصوصياتها الثقافية والاجتماعية.

وعلى الرغم من غلاء المعيشة وانتشار وباء كورونا، الذي منع هذه القبيلة من ممارسة طقوسها وألعابها إلا أنها لازالت حاضرة في مخيالها الفردي والجماعي، ويشدها الحنين لإعادة إنتاج هذه الطقوس والألعاب عند زوال هذه الجائحة التي اكتسحت العالم برمته.

قائمة المصادر والمراجع:

أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. (1992). صحيح *البخاري.. باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة*(الجزء الثالث). موفم للنشر. الجزائر

الحيدري، ابراهيم. (1984). *انتولوجيا الفنون التقليدية*(ط1). دار الحوار للنشر والتوزيع. اللاذقية. سوريا

بهلول، ابراهيم. (1986). *في الرقص الشعبي في الجزائر*. (سفاوي أسماء، ترجمة؛ ج2). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر

عبد الباقي، الهرماسي، وآخرون. (2000). *الدين في المجتمع العربي*(ط2). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت

عماد، عبد الغني. (2006). *سوسيولوجيا الثقافة. المفاهيم والاشكاليات..من الحداثة إلى العولمة* (ط1). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت

قويدر، قيداري. (2009). *بستان الأزهار في سيرة سيدي يحيى بن صفية ومسيرة اولاد نهار، دراسة تاريخية وأنثروبولوجية*. دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران

كوتسينغا، يوهان. (2012). *ديناميكية اللعب في الحضارات والثقافات الإنسانية*(محمد جوهر صديق، ترجمة؛ ط1). هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث

مرتاض، عبد المالك. (1981). *العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى*. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر

مؤنس، حسين. (1998). *الحضارة. دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها* (ط2). سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت

المراجع باللغة الأجنبية:

De Vanssay. (1903). *Voyage Au Maroc (1899- 1901)*. Librairie Armand Colin. Paris

M. Peyron. (1997). *Fantasia : Encyclopédie Berbère*. Edition Électronique : url// journal. Open édition. Org / Encyclopédie berbère/2017. ISS : 2262-7197

Sophie Landrin. (2009). *Du Rôle Actuel Du Cheval Au Maroc. Etat Des Lieux Et Perspectives*. Thèse pour le Doctorat Vétérinaire. La faculté de Médecine de Créteil